محاولات التخلص من الوجود العربي والإسلامي في جنوب السودان (١٩١٠- ١٩٥٥)

د. راجية إسماعيل أبو زيد

دكتوراه في التاريخ الحديث_ جامعة عين شمس

ليس السودان بالبلد السهل الذي يمكن أن يلم المحتل بأطرافه، فالسودان بلد مترامي الأطراف له حدود مشتركة تجاور تسع دول هي (مصر- ليبيا- إريتريا- أثيوبيا- أوغندا- زائير/الكونغو حاليا- تشاد- أفريقيا الوسطى- كينيا) وتختلف مناطق السودان من جهة إلى أخرى اختلافاً جوهرياً من حيث التربة والمناخ، والزراعة، والحيوان، فضلا عن التنوع الثقافي والمعيشي؛ ففي الشمال يتمركز المسلمون و تنتشر اللغة العربية،أما في جنوب السودان فتوجد قبائل الدنكا والشلك والنوير وغيرهم حيث تنتشر بينهم الوثنية والبدائية، وتخلو مظاهر الحياة لديهم من أي صورة من صور المدنية والحضارة.

وقد استغل الاحتلال البريطاني الفروق الجغرافية والثقافية بين شمال السودان وجنوبه لتمزيق وحدة البلاد، وإيقاف تيار الامتزاج الذي بدأ بين القبائل العربية في الشمال، وقبائل الجنوب؛ فغرست الإدارة البريطانية بذور الانفصال بداية من نشر الحملات التبشيرية في الجنوب ودعوة القبائل الوثنية هناك لإعتناق المسيحية، فكان هدف بريطانيا استغلال جنوب السودان واقتصادياته وتوجيهه نحو الممتلكات البريطانية في وسط أفريقيا فصله وابعاده عن شمال السودان .

ونتناول هذا الموضوع في ثلاثة نقاط؛ تحدثنا **أولاً:** عن سياسة بريطانيا لفصل جنوب السودان عن الشمال، **وثانياً:** محاولات الإرساليات التنصيرية للتخلص من الوجود العربي والإسلامي في جنوب السودان، **وثالثاً:** مؤتمر جوبا ١٩٤٧م ومحاولات الوحدة بين الشمال والجنوب والنتائج المترتبة على ذلك.

أولاً: سياسة بريطانيا لفصل جنوب السودان عن الشمال

بدأ الاحتلال البريطاني تنفيذ سياسته في جنوب السودان بعد القضاء على الثورة المهدية سنة ١٨٩٩م إذ رأى رجال الإدارة البريطانية الجو مهيئاً أمامهم لتحقيق حلم غوردون* وعملائه في صد تيار العروبة والإسلام عن جنوب السودان واتخذت سياسة فصل الجنوب عن الشمال طريقين، **إحداهما:** إداري، **والآخر:** اجتماعي، وذلك إمعاناً في خلق مشكلة خطيرة يصعب حلها بمرور الزمن(١)، بدأت التفرقة الإدارية في حكم البلاد منذ عام ١٩٢١م عندما ذكر ملنر في تقريره ضرورة اعتماد حكومة السودان على الإدارة الأهلية لتصريف شؤون المرافق المختلفة.

واستهدفت هذه السياسة خلق إدارة تعتمد على الشيخ والناظر في جهات السودان المختلفة، وبالتالي حرمانها من فوائد السلطات المركزية(٢) وظهرت نتائج هذه السياسة الجديدة عندما أعلنت الإدارة البريطانية أن مديريات الجنوب وهي مديرية أعالي النيل وعاصمتها ملكال والمديرية الاستوائية وعاصمتها جوبا ومديرية بحر الغزال وعاصمتها واو لا تصلح للسير وفق نظام الإدارة الأهلية، لتأخر سكانها عن أهل الشمال(٣)، وأخذت تمهد لخلق نظام إداري خاص بهذه المديريات الجنوبية حتى يرتفع مستواها إلى درجة أهل الشمال.

وفي عام ١٩٢٧م أعلنت الإدارة البريطانية عن وضع سياسة للجنوب تهدف إلى خلق وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة للمديريات الجنوبية أساسها الجنس الزنجي المختلف عن الجنس العربي في الشمال(٤).

---

* كان غوردون مأمور على خط الاستواء ثم حكمدار على السودان ١٨٧٧-١٨٨٠م.
انظر: إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غوردون وكتشنر، ص٦.

(١) إبراهيم أحمد العدوي: يقظة السودان، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٧٩م، ص١١٩.

(٢) رئاسة مجلس الوزراء: وثيقة ٢٥، مجموعة ١٥٤ إدارية.

(٣) الصادق المهدي: مسألة جنوب السودان، الخرطوم، شركة الطبع والنشر، ١٩٨٤م، ص١٥.

(٤) في عام ١٩٢٧م عين السير جون مفي حاكماً عاماً وطبق على الثلاث مديريات نظام الحكم غير المباشر لأنها أقل درجة في تطورها الاجتماعي والاقتصادي تقرير عن الحكومة المحلية في السودان وضعه أ.هـ مرشال إبريل ١٩٤٩م.
إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص١٢٢.

وفي يناير ١٩٣٠م رفع السكرتير الإداري لحكومة السودان مذكرة بشأن تحديد السياسة الإنجليزية تجاه الجنوب جاء فيها:

- ضرورة توفير العاملين من غير المتكلمين بالعربية في المجالات الإدارية والفنية.
- استخدام اللغة الإنجليزية في المعاملات الحكومية وإحلال الموظفين من أبناء الجنوب محل الشماليين.

أيضاً أشارت المذكرة إلى ضرورة تعرف الموظفين الإنجليز على العقائد وعادات وتقاليد ولغات القبائل التي يعملون بها(٥).

بدأت بريطانيا تهتم بكيفية السيطرة على القبائل المنتشرة على تلك المساحات الشاسعة في الجنوب، فأنشأت عدداً من المراكز التي يتولى قيادتها وإدارتها ضباط من القوات الإنجليزية ولم يكن ذلك بالأمر السهل حيث تطلب سنوات عديدة(٦)، أيضاً قسمت الجنوب إلى وحدات إدارية عينت عليها عمالاً بريطانيين قادرين على تحقيق سياساتها سواء من الناحية الإدارية أو الاجتماعية فكان المدير البريطاني في الجنوب أشبه بالسيد الإقطاعي(٧)، ويعاونه في الإدارة بعض كبار الموظفين الإنجليز ويسمى كل منهم مفتشاً وكل مفتش يشرف على جزء من الإقليم التابع له وهي ساحات شاسعة وخصص لكل قبيلة مفتش خاص؛ فقبيلة النوير لها مفتش، وبالمثل مع الشلك والدنكا، وتميز المفتشون الإنجليز بالنشاط وبراعة التعمق والوصول إلى صميم تلك القبائل مهما بعدت ديارهم وسط الأحراش والغابات، فيختلطون بهم ويتعرفون إلى زعمائهم ورجالهم ويفهمون عاداتهم(٨)، ولأن سياسة الإدارة البريطانية دعت الموظفين الإنجليز إلى معرفة لغات القبائل التي يعملون بها، لحد الإتقان الكامل للغة ، فقد نجحوا في إحكام صلاتهم بالقبائل، واستفادوا بذلك فائدة كبيرة ساعدت على تغلغل نفوذهم وزيادة سلطانهم على أفراد هذه القبائل وزعمائهم(٩).

---

(٥) **محمد عمر بشير: جنوب السودان، دراسة لأسباب النزاع، ترجمة: أسعد حليم، القاهرة، الهيئة العامة للطباعة والنشر، ١٩٧١م، ص١٨٣، الملحق الخاص بالمذكرة.**

(٦) **يونان لبيب رزق: السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩-١٩٢٤م، القاهرة، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٧.**

(٧) **إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص١٢٢.**

(٨) **توفيق محمد خليفة: الحياة في السودان بين الغابة والحضر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م، ص٦٩.**

(٩) **نفس المرجع السابق: ص٧٠.**

ويعتبر ماك ميكل MC Michael السكرتير الإداري لحكومة السودان هو أول من أشار بضرورة فصل الجنوب عن الشمال ووضع قانون ١٩٣٣م للمناطق المغلقة الذي منع الشماليين من العمل في الجنوب ومنع أهل الجنوب من الخروج إلى الشمال(١٠).*

كان من الصعب إن لم يكن مستحيلاً؛ التخلص من الموظفين الشماليين والذين يحتاج إليهم العمل في الجنوب قبل إعداد كوادر أخرى من أبناء الجنوبيين أنفسهم يحلون محل الموظفين العرب، وكان ذلك يحتاج إلى وقت غير قصير ليتفهم أبناء الجنوب طبيعة العمل الإداري(١١).

ومع ذلك بدأ في التخلص من الموظفين الشماليين في الجنوب تدريجياً، وكان الموظفون الذين يحلون محل الشماليين من الأقباط والشوام وليسوا من الجنوبيين، كما لم يتمكن من إعداد الجنوبيين لشغل بعض الوظائف في المجالات الزراعية، والبيطرية، والشؤون الصحية(١٢).

<u>التخلص من التجار الشماليين (الجلابة):</u>

كان التجار الشماليون (الجلابة) يقوم بالعمل التجاري بين القبائل الجنوبية الذي أتاح لهم التجول والاتصال بالقبائل الوثنية في المناطق النائية، فكانوا بمثابة حلقة وصل هامة بين الشمال والجنوب، وأداة فعالة لنشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل الوثنية، وقد أعاد إقليم لادو لحدود السودان عام ١٩١٠م فرصة طيبة للتجار الشماليين لفتح أسواق جديدة، فأخذوا يتدفقون صوب الإقليم مما أدى إلى خوف الإدارة البريطانية من هذه الفئة والسعي لإبعادها عن المديريات الجنوبية(١٣).

---

(١٠) جلال يحي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٤م، ص١٢.

**** كان من مظاهر قانون المناطق المغلقة حرمان السوداني الشمالي من إنشاء المدارس في الجنوب إذا سمح له بالإقامة فيها وإذا تزوج بامرأة من الجنوب لا يستطيع أخذ أطفاله عند عودته للشمال، انظر المرجع السابق،ص١٢**

(11) Watson, S.R: The serrow and hope of the Egyptian Sudan, London, 1905, P:118.

(١٢) محمود حسن أحمد: الحكم والإدارة في جنوب السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣م، ص٣٨.

(١٣) يونان لبيب رزق: مشكلة جنوب السودان (الأصول التاريخية لمشكلة جنوب السودان) بحث ضمن كتاب (مشكلة جنوب السودان)، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨١م، ص٨٩.

فبدأت بمنع تصاريح العمل عن كثير من التجار، ووصل الأمر إلى ترحيل بعضهم إلى الشمال واستبدلت بهم تجار من اليونانيين واليهود والسوريين[١٤]، وتشير الإحصائية التالية إلى عدد التجار الشماليين الذين كانوا يعملون بالتجارة في الجنوب.

السنة	عدد التجار في الجنوب
١٩٢٧	٧٩٥
١٩٣٠	٦٣٢
١٩٣٢	٤٦٦
١٩٣٤	٤٣٥
١٩٣٦	٤١١
١٩٣٨	٤١٦
١٩٤٠	٤٢٦
١٩٤٢	٤٥٥
١٩٤٤	٤٢١

وعلى الرغم من عدم نجاح سياسة إبعاد التجار الشماليين نهائياً فيرجع إلى ظروف الحرب العالمية الثانية وحاجة القوات البريطانية المرابطة في الشرق الأوسط، مما دفع الحكومة إلى منح التجار الشماليين أذونات خاصة بالتجارة لسد النقص من منطقة جنوب السودان الغنية بالأبقار[١٥] إلا أن الإدارة البريطانية استمرت في التخلص من وجود التجار المسلمين والعرب من الجنوب، وذلك عن طريق سن بعض التشريعات التي استمر تطبيقها حتى عام ١٩٤٧م، كمنع التجار الشماليين من الاستيطان في الجنوب و حظر ارتداء الملابس والأزياء العربية؛ كالجلباب والعمامة، كما أن الإرساليات التنصيرية لعبت دوراً كبيراً في مسألة التخلص من وجود التجار الشماليين الذين يمثلون حلقة الاتصال الهامة بين الشمال والجنوب.

وقد سعت بريطانيا إلى تحويل الجنوب إلى نطاق مغلق لا يسهم في التجارة السودانية بالقدر الذي يتناسب مع مساحته وإمكانياته، وتحديدا ثروته الحيوانية في التجارة

---

[١٤] إبراهيم عكاشة علي: حركة التبشير الديني في جنوب السودان ١٨٩٩-١٩٤٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٠١.

[١٥] الوثائق الإفريقية: محفظة ١٠٣، ملف ٦ السودان، أذونات.

عبد الله السريع: سنوات في جنوب السودان، مؤسسة المطبوعات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٥٠.

الخارجية، ويرجع ذلك إلى توجيه خير الجنوب نحو قلب أفريقيا، والممتلكات البريطانية في المحيط الهندي وموانيه[١٦].

وقد أدى اختلاف المستوى الاقتصادي والتجاري في الجنوب عن المستوى المتقدم نسبيا في الشمال إلى اختلاف الأنماط السلوكية، وبذلك استطاع الاحتلال بذر بذور الحقد في نفوس الجنوبيين، ولعل إهمال الجنوب اقتصادياً كان من أهم أسباب اشتعال الحروب الأهلية بين الشمال والجنوب منذ تمرد عام ١٩٥٥م وحتى اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢*.

التخلص من الجنود الشماليين:

بعد خضوع السودان للحكم الثنائي (البريطاني- المصري) عام ١٨٩٨م كانت الفرق الشمالية التابعة للجيش من عوامل الوجود العربي الإسلامي في المديريات الجنوبية، وكان حجم هذه القوات كبير خلال السنوات الأولى من الحكم الثنائي* و كان من الضروري بقاء قسم من هذه القوات لأسباب تتعلق بالأمن، وتوطيد سلطة الحكومة من خلال المراكز التي أقامتها في سائر مناطق الجنوب المترامية الأطراف[١٧] ولكن الإدارة البريطانية سعت إلى التخلص من الجنود الشماليين بالجنوب، حيث أنهم قوات إسلامية بيدها سلاح وتمثل السلطة الحاكمة كما أن وجود تلك القوات يتطلب إنشاء مدارس لأبنائهم، كما حدث في المديرية الاستوائية وأيضاً إنشاء مسجد كما حدث في واو، وكلها تعد مؤسسات إسلامية قد تساعد بطريقة أو بأخرى على انتشار الإسلام واللغة العربية في الجنوب لذلك كان من الضروري تجنيد الجنوبيين ليحلوا محلهم.

---

[١٦] صلاح الدين علي شامي: المواصلات والتطور الاقتصادي في السودان، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٩م، ص١١٠.

*** انظر: إبراهيم نصر الدين: الاندماج الوطني في أفريقيا والخيار السوداني، مجلة معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، نشرات غير دورية ١٩٧٨م، ص١٥**

*** يرجع زيادة عدد الجيش في تلك الفترة بسبب الصراع الذي كان وشيكاً مع الفرنسيين في فاشودة خلال ١٨٩٨-١٨٩٩م وكذلك حالة التوتر التي على الحدود بين دولة الكونغو ومديرية بحر الغزال والتي استمرت حتى عام ١٩٠٦م بين حكومة لندن وملك بلجيكا ليوبولد حتى تم تسوية الخلافات بينهما، انظر يونان لبيب رزق: فاشودة الصغيرة، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، ج١٥، ص١٦٣**

[١٧] محافظ أبحاث السودان: محفظة ٤٥، دفتر ١١١ قوات الأمن.

و أرسل أوين Owen مدير المديرية الاستوائية إلى وينجت winget حكمدار السودان يقترح تشكيل فرقة استوائية للخدمة في الجنوب يكون جميع أفرادها من أبناء جنوب السودان تلقى فيها الأوامر باللغة الإنجليزية وتقام فيها الشعائر المسيحية[١٨]، وبالفعل بدأ في تكوين الفرقة الاستوائية وبالفعل غادر العسكريين من أبناء الشمال جنوب السودان في يناير ١٩١٧م وأصبحت القوات الاستوائية هي القوة العسكرية الدائمة الوحيدة في جنوب السودان حتى وقوع حركة العصيان في أغسطس ١٩٥٥م وبالفعل غادر العسكريون الشماليون جنوب السودان في يناير ١٩١٧م، وأصبحت القوات الاستوائية هي القوة العسكرية الدائمة الوحيدة في جنوب السودان حتى وقوع حركة العصيان في أغسطس ١٩٥٥م[١٩].

التخلص من وجود اللغة العربية:

عرفت اللغة العربية طريقها إلى الجنوب منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر لكن ما إن حل الاحتلال البريطاني حتى بدأ يعمل على عدم ترسيخ الاتصال بين الشمال والجنوب ففي يناير ١٩٣٠م رفع السكرتير الإداري لحكومة السودان رومي Roome مذكرة بشأن تحديد السياسة الإنجليزية تجاه الجنوب جاء فيها استخدام اللغة الإنجليزية في المعاملات الحكومية بدلاً من اللغة العربية، وذلك حتى لا تساعد اللغة العربية على انتشار الديانة الإسلامية وحرصاً من الحكومة البريطانية على السيطرة التامة على الجنوب تمهيداً للانفصال عن الشمال[٢٠]، وعندما عقد مؤتمر الرجاف عام ١٩٢٨م تحت إشراف المعهد العالمي للغات والثقافات الأفريقية في لندن أوصى المؤتمر بالنسبة للغة العربية "إذا كان الأمر ضرورياً يجب أن تدرس بالحروف اللاتينية"[٢١] وطبقاً لقرارات مؤتمر الرجاف فقد كلف الخبير اللغوي د/ تيكر Taker للعمل لمدة عامين لإعداد دراسات حول اللغات الجنوبية[٢٢]، ثم عقد مؤتمر آخر في جوبا في أبريل عام ١٩٣٤م قام المؤتمر خلالها تنظيم

---

(18) **Wingate, Ronald (Sir): wigate of the Sudan, London, 1955, P:184.**

(١٩) **محمد عمر بشير: جنوب السودان، المرجع السابق، ص١٨٣.**

(٢٠) **نفس المرجع السابق: ص١٨٣،٢٤.**

(٢١) **حسن مكي: السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان، الخرطوم، المركز الإسلامي الأفريقي، د.ت، ص١٧.**

(٢٢) **نفس المرجع السابق: ص١٩.**

التعليم بالمديريات الجنوبية وأهم المشكلات اللغوية والدراسات التي يجب أن تعد لقواعد اللغات الجنوبية تأصيلاً لها حتى تساعد على إيقاف أي تأثيرات عربية إسلامية[٢٣]، وبالفعل صدرت الطبعة الإنجليزية لقواعد النحو لقبيلة الشلك والنوير والباري، وفي عام ١٩٣٦م صدرت القواعد بلغة اللوتكا والمورو ثم طبع قاموس اللغة لقبيلة الدنكا، وكان ذلك الجهد بالتعاون مع الإدارة البريطانية الممثلة في الحاكم العام للسودان ورجال الإرساليات التنصيرية[٢٤].

وهكذا حرصت الإدارة البريطانية على ترسيخ اللهجات القبلية إلى جانب اللغة الإنجليزية لإيقاف المد العربي القادم من الشمال، وقد نجح الاحتلال البريطاني في خلق تمايز وتباين بين الجنوب والشمال، لأن اللغة هي أهم الوسائل لتحقيق الانسجام في الثقافة العامة للمواطنين[٢٥]، ومن خلال استبعاد اللغة العربية تمكنت إنجلترا من العمل على نشر الدين المسيحي بمذاهبه المختلفة تدريجياً، وبمساعدة من الإرساليات التنصيرية، وكانت تلك أولى الخطوات لجعل الجنوب غير متأهل لقبول اللغة العربية والإسلام تمهيداً لفصله عن الشمال.

وإذا علمنا أن جنوب السودان يتحدث ١٢ لغة وأكثر من مائتين وخمسين لهجة وأن السياسة اللغوية البريطانية فصلت كل قبيلة عن الأخرى مما زاد الجنوب انقساماً بحيث لم يعد متحداً ثقافياً من ناحية اللغة الإنجليزية إلا على مستوى المتعلمين، مما كان سبباً في زيادة التفتت الثقافي، ومن ثم لم تنشأ وطنية واحدة بل صارت هناك هويات زنجية متعددة في الجنوب[٢٦]، وهنا وقف انتشار الإسلام واللغة العربية أمام حائل سياسي بناه البريطانيون.

---

(23) **Majok, Damazu. Dutt: British Religion and Educational Policy, the case of Bahr El-Ghazal, London, 1945, P:225-240.**

محمد عمر بشير: المرجع السابق، ص٣٥.

(24) **Majok Dutt: Op.Cit, P:225-240.**

(٢٥) **سيد حريز: البعد الأثيني والثقافي للصراع السياسي في السودان، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ٢٠٠٥م، ص١٨٠.**

(٢٦) **نديم البيطار: الهوية والقومية والوحدة العربية، مجلة الوحدة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، العدد ٥ في فبراير ١٩٨٥م، ص٧.**

حلمي شعراوي: الأفريقيون والعرب وجهاً لوجه، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، د.ت، ص١٨٠.

ثانياً: محاولات الإرساليات التنصيرية التخلص من الوجود العربي والإسلامي في جنوب السودان

شهدت مراحل النشاط التنصيري للعقيدة المسيحية مناهج وأساليب متعددة لنشر الإنجيل تتفاوت بتفاوت الأزمنة ومستوى المجتمعات الحضاري، وكان من بين تلك الأساليب ما يتمشى مع روح المسيحية وتعاليمها، ومنها ما هو مبتدع ودخيل عليها ويتركز النوع الأول على الإقناع الفردي والوعظ، أما النوع الثاني فيتمثل في التنصير عن طريق التجارة والتعليم والعلاج.

كانت مسألة التخلص من الوجود الإسلامي والعربي في جنوب السودان من تخطيط الإرساليات التنصيرية، وقد بدأ تخطيط ذلك المخطط منذ إعادة إقليم لادو **(كان تابع لدولة الكونغو (البلجيكية))** وقد استأجره ليوبولد الثاني ملك بلجيكا من مديرية بحر الغزال عام ١٩١٠م وبصورة محددة منذ تاريخ مذكرة مانلي سكرتير الجمعية البريطانية للشئون الأفريقية في يناير ١٩١٦م عن السياسة التي ينبغي تطبيقها في المديريات الجنوبية.

سعت بريطانيا لوضع العديد من القوانين لجعل الجنوب منطقة مغلقة في وجه الشماليين وعملت على ربطه بشرق أفريقيا وقدمت كل العون للإرساليات التنصيرية التي عملت على جعل المسيحية دينا رسميا للجنوب والإنجليزية كلغة رسمية، أيضاً سعت الإدارة إلى بذر بذور الشك والخوف في نفوس الجنوبيين وقد أثر كل ذلك على سير الحياة في جنوب السودان.

بدأت الإرساليات التنصيرية تسعى تدريجياً للدخول إلى جنوب السودان منذ عام ١٩٠٠م ويرجع ذلك إلى أن السياسة البريطانية في الشمال وقفت في مواجهة الجمعيات التنصيرية خوفاً من رد الفعل الإسلامي ومن ثم تركز عملهم في الجنوب[٢٧]، ولقد لعب الفاتيكان الدور الأكبر في حركة نشر المسيحية في أفريقيا وتزويد المنصرين بما يحتاجونه، فركز جهوده في جنوب السودان من خلال بعض الأشكال الإنسانية والاجتماعية[٢٨]حيث

---

(27) **Collins Roberta: The British in the Sudan 1898-1956, London, 1960, P:66.**

(٢٨) **الأب ج. فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك القديمة والسودان الحديث، الخرطوم، ١٩٧٨م، ص٢١٠.**

كان أهل الجنوب يحيون حياة بدائية حفاة عراة أجسامهم نحيلة هزيلة لا يتأزرون بإزار يقي أجسامهم من لفحات الحر، يتميزون بالحذر وقلة الاطمئنان لمن يأتي إليهم، فقام المنصرون بجذبهم وإغرائهم عن طريق الغذاء والكساء والعلاج والمثابرة والصبر، مما كان له أكبر الأثر في خلق جو من الطمأنينة بينهم، مما جعل بعضهم يعيشون في كنف هذه الإرساليات، ويستمعون إلى تعاليم رجالها وما يلقونه من تعاليم الدين، وقد نالهم أثر من التهذيب والتعليم على قدر ما وسع جهد رجال الإرساليات في تثقيفهم وتهذيبهم[٢٩].

بدأ تدفق الجمعيات التنصيرية على جنوب السودان مختلفة الجنسيات؛ فمنها الإيطالي والأمريكي وغيرهما، وقد انتشرت في الجنوب وتوسعت وتوطدت بفضل ما وجدته من إدارة السودان من تأييد مما ثبت مكانتها ووسع نفوذها[٣٠]، وتجنباً للصراع بين الإرساليات قسم الجنوب إلى مناطق نفوذ لممارسة مهامهم[٣١].

فالإرسالية الأمريكية تعمل بين قبائل الشلك والنوير والإرسالة الإنجيلية بين الدنكا والشلك والكاثوليكية بين القبائل النيلية بحر الغزال والمديرية الاستوائية[٣٢]، وتعتبر الإرسالية الكاثوليكية في الجنوب أغنى الإرساليات التنصيرية وأكثرها نشاطاً وحركة، فقد حصلت على أكثر من ٤٠% من الأراضي الجنوبية والتي تضم قبيلة الدنكا وغيرها من القبائل[٣٣]، وفي الحقيقة فإن تلك التقسيمات لم تأخذ في اعتبارها الأبعاد الاجتماعية والتركيبة القبلية أو التقسيمات الجغرافية مما كان له أثر سيء على القبائل نفسها وأثار خلافاً بين كل من الإرساليتين الإنجيلية والكاثوليكية، فنرى أن قبيلة مثل الدنكا ساد بينها في منطقة ما المذهب الإنجليكاش بينما ساد بينها في منطقة أخرى المذهب الكاثوليكي، ولذا تفتتت العقيدة الدينية واللغوية[٣٤]، لقد كانت الإرساليات المسيحية التي وفدت إلى الجنوب ذات مذاهب متباينة

---

[٢٩] **التقرير السنوي: مديرية بحر الغزال ومديرية أعالي النيل.**
توفيق محمد خليفة: الحياة في السودان، المرجع السابق، ص٥٠،٥٢
[٣٠] **نفس المرجع السابق: ص٥٣.**
[31] **Burton Jhon W: Christian Colinists and conversion, A view from the Nilatic Sudan (Journal of Modern African Studies) 23/2/1975, Vol. 1, P:55.**
محمد عمر بشير: المرجع السابق، ص٥٣.
[٣٢] **حسن مكي: المرجع السابق، ص١٧.**
[٣٣] **إبراهيم عكاشة: المرجع السابق، ص٦٠.**
[34] **Burtom Jhon W: Op.Cit, PP:355-356.**

واختصت كل منها بجهة معينة حتى تتمكن من صبغ الأهالي بطابعها الخاص، وبالتالي يخرج الأهالي بعقائد تبعدهم عن الوحدة أو التفاهم، ولم يقتصر دور الإرساليات على الناحية الدينية وإنما مزجت تعاليمها بثقافة تبعث على الفرقة بين أهل الجنوب وأهل الشمال[٣٥] وتعميق الخلافات فاتخذت من تجارة الرقيق نماذج تثير نفوس الجنوبيين الكراهية والبغضاء نحو الشماليين، ومن ادعائهم أن إحدى الإرساليات احتفظت في فناء مدرستها بشجرة كبيرة قيل إن أهل الشمال كانوا يتاجرون بالقرب منها في بيع الرقيق وتعهدت إدارة الإرسالية هذه الشجرة بالرعاية لتظل عنواناً حياً مائلاً أمام أهل الجنوب يذكرهم بمساوئ بني وطنهم[٣٦]، أيضاً حرصت الإرساليات على بقاء الجنوب منفصلاً عن الشمال فعند فتح ممر في منطقة السدود لتسير فيه السفن الذاهبة إلى جوبا؛ فزعت الإرساليات في الجنوب بالإعلان عن أن هذا الممر يفتح الطريق أمام المسلمين لغزو جنوب السودان وبالتالي القضاء على تعاليم المسيحية،و أوضحت الإرساليات أن طلبة الجنوب الذين ينتهون من تعليمهم سوف يذهبون عبر هذا الممر المائي في منطقة السدود إلى كلية **(غوردون (الكلية الجامعية الآن))** وهي توجد في الخرطوم حيث تسود الديانة الإسلامية، واستجابت الإدارة البريطانية لمطالب الإرساليات وتعللت بشتى الوسائل لمنع الاتصال بين أهل الجنوب والشمال، فادعت أولاً أن مشايخ القبائل في شمال السودان يحنون إلى تجارة الرقيق وتقضي المصلحة حماية الجنوب من ذلك[٣٧]، وهكذا جاء التنصير إلى جنوب السودان ليضيف إلى التعددية القبلية واللغوية والثقافية تعددية مذهبية[٣٨].

عملت الإرساليات على التخلص من التجار الشماليون، فركز المُنصِرون في نشاطهم بالجنوب على الاشتغال بالتجارة خاصة في الذرة والأبقار والخرز والأساور النحاسية، وكانوا يتجارون فيها مع الأهالي عن طريق المقايضة، وقد ركز المُنصِرون على تلك البضائع لأهميتها في المجتمعات القبلية بجنوب السودان سواء من الأبقار أو الخرز

---

[٣٥] **إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص١٢٢.**
[٣٦] **نفس المرجع السابق: ص١٢٣.**
[٣٧] **إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص١٢٣،١٢٥.**
[٣٨] **جمال عبد الجواد: أزمة التكامل القومي في السودان، حالة الجنوب الفكر الاستراتيجي العربي، القاهرة، معهد الاتحاد العربي، العدد ٢٩ في يوليو ١٩٨٩م، ص٣٠.**

والأساور للزينة ولاعتبارات دينية[٣٩]، كان احتكر المُنصِرون تلك التجارة حتى في المناطق النائية البعيدة عن مراكز الحكومة مما أتاح لهم فرصة السيطرة على تلك المناطق، وبالتالي نشر الإنجيل بين المواطنين الذين عادة ما يلجأون للإرساليات في وقت المجاعات، وهي من أهم الظواهر الطبيعية التي عادة تصيب المجتمعات الجنوبية، وتحدث نتيجة الفيضانات أو بعد انتهاء المعارك القبلية طلباً للعمل أو الإحسان أو تضميد جروحهم.

أخذت مسألة التخلص من التجار الشماليين في الجنوب أبعاداً مختلفة، فعندما عقد مؤتمر التنصير العالمي بأدنبرة عام ١٩١٠م قررت اللجنة وضع أفريقيا في المرتبة الثانية بعد الصين من حيث حاجتها إلى اتخاذ التجارة وسيلة ضرورية لنشر الإنجيل بين تلك الشعوب، وعلق أستاذ اللاهوت/ روبسن على ذلك القرار "أنه بناء على تقدم التجار المسلمين المستمر جنوباً فإن كل تاجر مسلم هو داعية للإسلام مما يهدد بأن تصبح أفريقيا الوثنية إسلامية أكثر منها مسيحية"[٤٠].

وهكذا ارتبطت التجارة بأسلوب العمل التنصيري القاضي بالسيطرة التامة على المجتمعات المتخلفة؛ فاشتغل المُنصِرون بالتجارة على نطاق واسع في الجنوب، ومن خلال تلك التجارة كانوا يدفعون أجور العاملين في مراكز التنصير، كان نشر الإنجيل في جنوب السودان يعتمد أساساً على التنصير في مجال التعليم لذلك ركز المُنصِرون على التعليم، رغم تعدد اللهجات المحلية بالمديريات الجنوبية وعدم وجود لغة مشتركة للكتابة لذلك اقترح المنصرون أن على جميع الإرساليات ضرورة معرفة اللغات المحلية[٤١]، وقد أوضح المنصر/ ماكدونالد: "ليس هناك وسيلة لتعلم لغة أفضل من التدريس بها وليس هناك وسيلة لفهم الإنجيل ونشره أفضل من اللغات المحلية وليس هناك وسيلة للتأثير على مواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة"[٤٢].

---

[٣٩] **التقرير السنوي: مديرية بحر الغزال ومديرية أعالي النيل.**

[40] **Waston, J.R: Op.Cit, P:118.**

[41] **Rafia Hassan Ahmed: Regionalism, Ethnic and Socio- Cultural Pluralism, the case of the Southern Sudan, University of Khartoum, 1984, P:50-51.**

[42] **Macdonald, Christian Education in Southern Sudan, CMO, Jun 1940, P:84-90.**

وهكذا سعت الإرساليات إلى دراسة اللغات المحلية لقبائل الجنوب، وممن أسهموا في تلك الدراسات أباد فيرونا فقاموا بدراسة واسعة لقبائل الدنكا والشلك والنوير، وقد احتلت دراساتهم اللغوية جزءاً هاماً من أرشيف مقر الإرسالية بروما والمكتبة الملكية في فينا، وتوجد قوائم متعددة للترجمات التي قام بها أباد فيرونا ومعظمها دينية وصحية، أيضاً هناك قواميس اللهجات المحلية، ومن الذين أسهموا في هذا المجال القس/ ولسن ولي، كان مشرفاً على مدرسة جوبا وأعد ترجمة للإنجيل بلغة الدنكا، والقس/ جور، الذي أعد الإنجيل بلغة الزاندي، ودكتور/ فريزر وزوجته قاما بترجمة كتب الصلاة بلغة المورو(٤٣).

التنصير عن طريق المدارس:

كانت المدرسة من المؤسسات الرئيسية التي ركزت عليها الإرساليات في نشر الإنجيل بالجنوب وإعداد مواطنين مسيحيين ليقوموا بنشر الإنجيل في الأماكن التي لم يصل إليها المنصرون، وبناءً على ذلك انقسمت مدارس الإرساليات بالجنوب حتى عام ١٩٢٧م إلى نوعين فقط من المدارس(٤٤): مدارس أولية ومدارس الأحراش أو القرى.

المدارس الأولية:

يوجد في كل مركز تنصير؛ مدرسة أولية داخلية يقوم بالإشراف عليها منصر أوروبي، وعن طريق الاتصال بزعماء القبائل يتم إقناع أولياء الأمور لإلحاق أبنائهم بهذه المدارس، ونظراً للظروف الطبيعية ومستوى التلاميذ، كانت المناهج بسيطة تتمثل في تعليم الكتابة وقراءة الإنجيل باللهجات المحلية ودروس عملية لبعض الصناعات البسيطة؛ كالتجارة، والبناء، وزراعة المحاصيل.

وتختلف مدة الدراسة من إرسالية إلى أخرى، وبعد الامتحان النهائي يمنح المتفوقون شهادات للتدريس تعرف Local Masters Certificate يعين بمقتضاها الطلبة بعد

(٤٣) لغة طوك جينيق، لغة قبيلة الدنكا، وطوك ناس لغة النوير بحر الغزال،وطوك شلو لغة الشلك، ولغة الندقو في ولاية غرب بحر الغزال، ولغة القولو في المديرية الاستوائية وغيرها من اللهجات واللغات، انظر: ar.m.wikipedia.org

Oswin, k., The Early Study of the Vilotic Languages of the Sudan, SWR, Vol. 11, 1970, P:86-93.

(٤٤) إبراهيم عكاشة: المرجع السابق، ص١١١.

تعميدهم مدرسين في مدارس القرى بأجور شهرية عينية ونقدية تتراوح في بعض الإرساليات إلى خمسة عشر قرشاً شهرياً بالإضافة إلى رطل ونصف من الذرة يومياً مع تأسيس كوخ له، ويعرف هؤلاء المدرسون الوطنيون باسم الملقنين(٤٥).

مدارس الأحراش:

مدارس تلقين مبادئ المسيحية، يطلق على مدارس الأحراش مدارس القرى، وتقع تحت تصنيف مدارس ما دون الدرجة في التصنيف الخاص بالمدارس غير الحكومية الصادر عام ١٩٢٧م والقانون الوحيد لإنشاء هذه المدارس هو الحصول على موافقة زعيم القبيلة أو مفتش المنطقة، وتعتبر هذه المرحلة تمهيدية للمدرسة الأولية، والدراسة في هذه المدارس غير منتظمة، وأعمار التلاميذ تتفاوت تفاوتاً كبيراً، وتدرس في هذه المدارس مادة تلقين مبادئ الدين المسيحي عن طريق السؤال والجواب يطلق عليها اسم الكاتيكسموس (Catechim) .

ويقوم بالتدريس مدرسون وطنيون تم تعميدهم وحصلوا على شهادة التدريس التي تمنحها المدارس الأولية ويطلق عليهم في تلك المدارس الملقنين أو الكاتيكست (Catechist) ومهمتهم تلقين الدين المسيحي للأشخاص الذين يرغبون في اعتناق المسيحية.

وبعد انتهاء فترة الدراسة يتوجه الملقن بالتلاميذ إلى مقر الإرسالية لإجراء مراسم التعميد، وتقام حفلة كبيرة تصاحبها إيقاعات الطبول(٤٦)، ثم يسجل الاسم الجديد للمعمد في قائمة المسيحيين الوطنيين ثم تتم مراسم التثبيت التي يقوم بها الأسقف وهي آخر مراحل انتماء الوثني للمسيحية وبعدها ينفصل عن مجتمعه الوثني(٤٧).

كانت مدارس التلقين من أكبر وسائل نشر المسيحية في جنوب السودان حيث تقوم بإعداد وتنشئة الأطفال وهم صغار تنشئة مسيحية حتى إذا ما وصلوا إلى المرحلة الأولية

(45) **Beshir M.O.: Educational Development in the Sudan 1898-1956 Oxford 1969, P:254.**

حسن مكي: السياسة التعليمية، المرجع السابق، ص١٩.

(46) **Beshir, M.O: Op.Cit, P:255.**

(47) **Giffen, C.R: The Planting of Christianity in Africa, London, 1952, P:317.**

اعتبروا مسيحيين، وأصبحوا ملقنين للمبادئ المسيحية في قراهم النائية، لذلك اهتمت الإرساليات بوجه خاص بهذا النوع من التعليم الديني، وقد ارتفع عدد مدارس التلقين حتى وصل في عام ١٩٣٨م خمسمائة وخمساً وثمانين مدرسة تلقين(٤٨)، وقد أدى انتشار هذا النوع من المدارس على نطاق واسع ودون فهم صحيح للمسيحية مع رداءة نوعية المدرسين القائمين بأمره إلى تنصير الأطفال القصر وتعميدهم باسم التعليم، وهكذا كانت محاصرة الإسلام وإعاقة تقدمه في جنوب السودان، وهي السياسة التي وضعها مانلي سكرتير الجمعية البريطانية للشئون الأفريقية عام ١٩١٦م.

التنصير عن طريق العلاج:

لم تظهر أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوروبا وأمريكا والتي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين في مراكز التنصير، ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية Medical Evangelistic Mincom من وسائل التنصير الهامة خاصة في المناطق التي يمارس فيها العلاج بوسائل خرافية(٤٩).

وقد ارتبط الاهتمام بهذا النوع من الإرساليات بدوافع متعددة، من بينها ما أكده دكتور/ كوك: "أن أهداف هذا النوع من البعثات هو أولاً لإضفاء روح الشفقة الدينية على البعثات التنصيرية ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب البشر، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض"(٥٠).

وقد كان من رأي بعض المبشرين: "أن جنوب السودان ليس في حاجة إلى وعاظ أو إلى رجال لاهوت بقدر ما هم في حاجة إلى منصرين أطباء"(٥١) فضلاً عن أن وجود المنصر الطبيب في المجتمعات التي يمارس فيها التعاويذ والتمائم كقوة سحرية لعلاج

(48) **Hewitt: The Problems of Success, A History of the Church Missionary Society 1910-1942 in Tropical Africa The East, At home, London, 1971, P:109.**
(49) **Beshir, M.O: Op.Cit, P:195.**
(50) **R. Cook: Medical Mission, CMO, Vol. 1X IV, 1918, P:148.**
(51) **Dempsey, J.: Mission on the Nile, New York, 1956, P:113.**

المرض يساعد في القضاء على نفوذ العرافين الذين يمثلون أحد أعمدة المعتقدات الوثنية[٥٢]وبالتالي فقد نشأت في معظم مراكز التنصير **(مستوصف)** صغير لعلاج التلاميذ والعاملين من الأهالي والمنصرين، وهذا النوع من المراكز كانت تشرف عليه الحكومة وتزوده في بعض الأحيان بالأدوية والممرضين.

وفيما عدا ذلك فإن اهتمام الإرساليات بالعلاج في الجنوب كان محدوداً فقط على مستشفى لوي التابعة لإرسالية غوردون وبعض المستشفيات التي أنشئت في نهاية الثلاثينيات،ويعتبر هذا المستشفى من أكبر وأهم المستشفيات التابعة للإرساليات بالجنوب، وقد تم إنشاؤه بعد ضغط شديد من قبل الحكومة، وذلك عندما اكتشفت الحكومة تفشي مرض النوم، والجذام في إقليم لادو ومنطقة الزاندي، حاولت إقناع المسئولين في إرسالية غوردون التي تقع هذه الأراضي داخل منطقة نفوذها بضرورة إنشاء إرسالية علاجية.

فقامت الإرسالية بانتداب الدكتور/ ستونز R.Y.Stones من مستشفى مصر القديمة في عام ١٩١٤م للقيام بزيارة لمنطقة الزاندي ودراسة إنشاء إرسالية طبية بها[٥٣]، ولكن تقريره جاء على عكس ما تسعى إليه الحكومة[٥٤]، ثم جاء الدكتور/ فريزر وزوجته إلى منطقة المورو في عام ١٩٢١م، وكان أول طبيب يعمل في إرسالية غوردون بجنوب السودان؛ فقام بإنشاء مبنيين من الطين والقش اتخذ أحدهما مدرسة للبنين والآخر مستشفى[٥٥]، ظهرت أهمية المستشفى لموقعها في إقليم المورو والذي كان يتفشى فيه مرض الجذام، وعندما اكتملت مباني المستشفى عام ١٩٢٦م أعد الدكتور/ فريزر معسكراً للمجذومين بالقرب منها وألحق بالمعسكر كنيسة ومدرسة[٥٦].

وقد حظيت المستشفى بمساعدات نقدية وعينية من المنظمة العالمية لمكافحة الجذام البريطانية مما أكسبها شهرة واسعة[٥٧].

---

(52) **Ibid.**
(53) **Ewitt, G.: The Problem of Success, Op.Cit, P:210.**
(٥٤) **التقرير السنوي عن مصلحة المستشفيات الملكية: ١٩١٤م.**
(٥٥) **نفس التقرير.**
(56) **Hewitt, G.: Op.Cit, P:269-270.**
(57) **Demosey, J.: Op.Cit, P:155.**

وكانت تعتبر المثل الأعلى للعمل التنصيري العلاجي، ولذلك كانت الكنيسة والمدرسة والمستوصف والمستشفى يشكلون معاً وحدة مترابطة للكنيسة المسيحية في كل مركز تنصير، وقد وصف المنصر/ لافرك Lafrek الذي كان يعمل في إحدى مستوصفات الجنوب، الطريقة التي يؤدي بها المنصر الطبيب نشاطه التنصيري قائلاً: أن التقرح هو المرض الرئيسي الذي يتردد من أجله المرضى على المستوصف، وكان على كل مريض أن يقوم بتشييد عشة من القش بنفسه أو بواسطة أقاربه ليقيم فيها حتى يتم شفاؤه، وهذا يعني أن أعداد كبيرة ستتاح لها فرصة معرفة تعاليم المسيحية حيث يقام الوعظ مرتين في اليوم عن طريق أحد أفراد القبيلة الذين تشبعوا بالمسيحية(٥٨)، ويبقى المريض عادة نحو شهرين، وبعد شفاؤه تحرق العشة وتبنى أخرى لحالة جديدة، وبجانب مستشفى لوي أنشأت إرسالية غوردون بمديرية أعالي النيل مستشفيين صغيرين، إحداهما عام ١٩٣٢م والأخرى عام ١٩٣٨م هذا بجانب ثمانية مستوصفات في مراكزها التنصيرية المختلفة.

وكان العلاج في حالات قليلة مجاناً وعادة كان يدفع المريض مبلغاً بسيطاً، وفي حالة عدم مقدرته يدفع عدداً من البيض أو الدجاج(٥٩)، وتأتي الإرسالية الأمريكية في المرتبة الثانية بعد إرسالية غوردون من ناحية الاهتمام بالتنصير العلاجي، أما الإرسالية الإيطالية فلم يكن لها نشاط يذكر في هذا المجال، لقد كان الهدف من العلاج في مراكز التنصير هو تخفيف الآلام الجسمانية لتتمكن النفس من إدراك القوى الكامنة في العقيدة المسيحية وخلق روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة التي قدمت إليه، كذلك القضاء على نفوذ العرافين الذين كانوا بالنسبة للأهالي المحور الذي يدور حوله معتقداتهم الوثنية ولا يرون في المسيحية بديلاً عنها.

وأياً كان الأمر فإن التنصير عن طريق العلاج لم يكن أداة فعالة لنشر الإنجيل في جنوب السودان رغم تفشي الأمراض المختلفة به.

(58) **Annual Report on Medical Health work, 1935, 6, P:144.**
(59) **Hewitt, G.: Op.Cit, P:300.**

ثالثاً: مؤتمر جوبا ١٩٤٧م ومحاولات الوحدة بين الشمال والجنوب ونتائج ذلك

منذ بداية الأربعينات ظهرت في الجنوب مجموعات صغيرة تجمعهم الصداقة والعلاقات الطبية، وبدأوا ينظمون أنفسهم في جمعيات سياسية واجتماعية غير رسمية كجمعية الاجتماعيين السياسية في جنوب السودان وكان مقرها جوبا، والجمعية الاجتماعية التي ظهرت في ملكال في أعالي النيل، وجمعية تحسين الشئون الاجتماعية للمسئولين الجنوبيين وضمت الموظفين المدنيين، وكان اهتمامها الأول بالأجور والمرتبات وقاموا بإضراب ضد السلطة فأجبرت الإدارة البريطانية على تحسين أجور العمال، وبما أن تلك الأنشطة كانت غير رسمية فقد توقفت وانتهت بداية من عام ١٩٤٧م وبعد انعقاد مؤتمر جوبا[٦٠]، وفي الحقيقة لم يكن يجول في خاطر بريطانيا في أي وقت من الأوقات أن يشارك السودانيون في حكم البلاد، ومنذ إنشاء مجلس الحاكم العام عام ١٩١٠م والذي تم تكوينه من البريطانيين لم تهتم بريطانيا في تمثيل السودانيين في هذا المجلس، وإن لجأت إلى إشراكهم في الإدارة المحلية، وظل ذلك الوضع قائماً حتى الحرب العالمية الثانية، ومع ازدياد نسبة المتعلمين في السودان من خريجي كلية غوردون وغيرها، تطلع هؤلاء إلى إنشاء تنظيمات سياسية للمشاركة في حكم بلادهم، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت بريطانيا في تعديل سياستها نحو الجنوب[٦١]، فوضعت ثلاثة اختيارات للسياسة الجنوبية _ **أولاً:** دمج الجنوب في الشمال، **ثانياً:** دمج الجنوب مع أفريقيا الشرقية، **ثالثاً:** دمج أجزاء من الجنوب مع الشمال وأجزاء أخرى مع أفريقيا الشرقية، ونلاحظ أن كل تلك الاقتراحات تخلو من أي إشارة لإيجاد كيان مستقل للجنوب، وفي نهاية عام ١٩٤٦م دعا السكرتير الإداري للحكومة البريطانية جيمس روبرتسون إلى عقد مؤتمر في جوبا يهدف إلى تمثيل الجنوب في المجلس التشريعي السوداني أو إنشاء مجلس تشريعي منفصل للجنوب[٦٢].

---

(60) **Beshir, M.o: The Southern Sudan background to Conlict, London, 1968, P:45.**

(٦١) **الصادق المهدي: مسألة جنوب السودان، المرجع السابق، ص٣٥.**

(٦٢) **جيمس روبرتسون: السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال، تعريب: مصطفى الخانجي، دار الجبل-بيروت، ١٩٩٦م، ص١٧٦.**

ويعتبر مؤتمر جوبا ١٩٤٧م البداية الحقيقية للحركة السياسية في جنوب السودان حيث ترأس المؤتمر روبرتسون Robertson وحضره رؤساء القبائل الجنوبية والموظفين الجنوبيين المتعلمين وستة من أبناء الشمال بجانب حكام المديريات الجنوبية الثلاث، وذلك في شهر يونيو عام ١٩٤٧م في جوبا[٦٣] وقد أشار حاكم المديرية الاستوائية مستر/ مارود Marod بأن المؤتمر يعتبر "أول فرصة يتاح فيها لأبناء الجنوب الحضور لمناقشة قضاياهم" وقد أوصى مؤتمر جوبا بالموافقة على اشتراك الجنوب في الجمعية التشريعية وعلى الوحدة بين الشمال والجنوب، وقد أوضح القادة الجنوبيين تخوفهم في هذا المؤتمر من الشماليين[٦٤].

لم يكن الجنوبيون مهيئين للاشتراك في العمل السياسي في السودان الشمالي كما لم يكن زعماء القبائل الجنوبية مهيئين للتعامل في ظل سودان واحد، وذلك لأن السياسة التي وضعتها بريطانيا في جنوب السودان أدت إلى تأخر الوعي السياسي ما أدى إلى تأخر ظهور الأحزاب السياسية على عكس الشمال[٦٥]. كما كانت الكوادر السياسية التي قادت الحركة السياسية في الجنوب على صلة وثيقة بمدارس الإرساليات، ومن ثم كان لها تأثير كبير في تنشئتها النفسية واتجاهها السياسي والفكري والثقافي حتى تمكنت من الظهور تدريجياً والاشتراك في المؤتمرات ليبدأ نمو الوعي السياسي في الجنوب[٦٦].

وبانتهاء أعمال مؤتمر جوبا ١٩٤٧م شعر الجنوبيون بأولى خطواتهم التنفيذية نحو المشاركة الفعلية في السياسة السودانية ورغم قلة خبرتهم بالعمل السياسي إلا أنهم أظهروا درجة من الوعي والفهم للمشاكل المطروحة عليهم بالجمعية التشريعية.

وعندما التقت الأحزاب الشمالية مع الأعضاء الجنوبيين داخل المجلس التشريعي قررت الجمعية تشكيل لجنة لوضع أسس الدستور الجديد في السودان عام ١٩٥١م ولم يكن للجنوب فيها دور يذكر نظراً لعدم وجود أحزاب سياسية إلا بعض القيادات الجنوبية المتفرقة

---

(٦٣) نفس المرجع السابق: ص١٧٧.
(٦٤) محمد عمر بشير: المرجع السابق، ص٢٢٤، الملحق الخاص بمؤتمر جوبا.
(٦٥) علي حسن عبد الله: الحكم والإدارة في السودان، القاهرة، دار المستقبل العربي، ص١٧٨.
(٦٦) إمام محمد كلوك: المؤتمر الدستوري في السودان (المعوقات والإمكانيات)، رسالة دبلوم في العلوم السياسية، معهد الدراسات العربية، ١٩٨١م، ص٨٣.

والتي لا يجمعها تنظيم سياسي واحد، وقد أدى ذلك إلى شعور الجنوبيين بالخوف من انتقال جزء كبير من السلطة إلى الشماليين[٦٧].

ومن خلال الحوار بين رجال الإدارة البريطانيين ورجال الإرساليات التنصيرية وبين القادة السياسيين الجنوبيين خرجت لأول مرة فكرة التقسيم الإداري أو الاتحاد الفيدرالي بين الشمال والجنوب، فقد استطاع رجال الإدارة والإرساليات أن يؤثروا على القادة الجنوبيين بإنشاء مجلس استشاري مستقل لجنوب السودان، وصارت هذه الفكرة هي القاسم المشترك الوحيد في فكرهم عند نشأة الأحزاب السياسية الجنوبية[٦٨]، وبما أنه لم يكن للجنوب أحزاب مستقلة تعبر عنه بجانب تأخر عمليات التنمية الاقتصادية والتعليمية وموقف الإدارة البريطانية والإرساليات ورغبتهم في وصول المؤشرات العربية الإسلامية للجنوب*.

كذلك كان من العوامل الهامة التي دفعت القيادات الجنوبية إلى التفكير في إنشاء أحزاب سياسية مستقلة عن الشمال، تجاهلهم في المحادثات التاريخية التي دارت في القاهرة عام ١٩٥٣م بعد قيام الثورة، لذلك طالب بوث ديو حاكم مديرية أعالي النيل في الجمعية التشريعية أن تكون الفيدرالية بالنسبة للجنوب أحد الأسس الرئيسية التي يشملها الدستور، ولكن أعضاء الجمعية لم يهتموا بذلك الرأي، لذلك شعر الجنوبيون أنهم مغيبون عن الأحداث السياسية[٦٩]، وكان ذلك بداية لظهور الحزب الجنوبي في جوبا عام ١٩٥١م والذي قرر إنشاء حكومة اتحادية تعطي الجنوب قدراً من الحكم الذاتي.

ولكن الحكومة السودانية رفضت لأن ذلك سيؤدي إلى انفصال الجنوب، وفي أغسطس عام ١٩٥٥م تمرد أعضاء الفرقة الجنوبية من الجيش السوداني بإيعاز من بريطانيا ضد الشمال، فقامت الحرب الأهلية السودانية الأولى المعروفة باسم أنانيا **(أي سم الأفعى)** واستمرت سبعة عشر عاماً حتى عام ١٩٧٢م طالب خلالها الجنوب مزيد من الحكم

---

(67) **Magid Ali. Sanson: The Nationalist Movement in the Sudan the Enesunce of the Requized Political Move the Southern Sudan, 1972, P:295.**

(٦٨) **محمد عمر بشير: المرجع السابق، ص٢٢٤،١١٧.**

* **في عام ١٩٥٠م سمح للإداريين الشماليين ولأول مرة بدخول الجنوب وتم إدخال اللغة العربية في مدارس الجنوب ورفع الحظر عن الدعوة الإسلامية.**

(69) **Magid Ali: Op.Cit, P:295.**

الـذاتي[٧٠]، ثـم بـدأت حـرب العصـابات ثـم الحـرب الأهليـة الثانيـة أو حـرب أنانيـا الثانيـة ١٩٨٣-٢٠٠٥م وظهور حركـة تحريـر السـودان، وقـد اسـتمر التـوتر بـين الشـمال والجنـوب حتـى تـم الاسـتفتاء علـى فصـل الجنـوب عـن الشـمال وكانـت النتيجـة بنسـبة ٩٤% مـن أهـل الجنوب موافقين على الانفصال عن الشمال، وذلك في التاسع من يوليو عام ٢٠١١م.

وأصبح الشعار الوطني لجنوب السودان: العدالة- الحرية- الرخاء، وهكذا تضـافرت مجموعة من العوامل على تقسيم السودان معنوياً قبل أن تصبح حدودياً.

[٧٠] **إبراهيم العدوي: يقظة السودان، المرجع السابق، ص١٣٢.**

الخاتمة

من خلال تلك الدراسة اتضح لنا أن الاحتلال البريطاني ترك السودان مثقلاً بالمشاكل السياسية خاصة جنوب السودان، إذ غرست الإدارة البريطانية بذور الانفصال، وكانت السياسة الجنوبية تهدف إلى تنمية المجتمع على أسس تختلف عن الشمال، حرصت بريطانيا على إبعاد الجنوب تماماً عن المؤثرات العربية الإسلامية وخلق سودان جنوبي بهوية ثقافية واجتماعية ودينية وسياسية تختلف عن السودان الشمالي.

وتمهيداً لذلك سنت بريطانيا من القوانين ما جعل الجنوب منطقة مغلقة في وجه الشماليين بينما عملت على ربطه بشرق أفريقيا، كذلك قدمت كل العون للإرساليات التنصيرية التي عملت على أن تجعل المسيحية هي دين الجنوب والإنجليزية هي اللغة السائدة، أيضاً سعت الإدارة لبذر بذور الشك والخوف في نفوس الجنوبيين، وقد أثر ذلك في سير الحياة في جنوب السودان وفي تطور الأحداث، فأصبح هناك أزمة ثقة بين أهل الشمال والجنوب بسبب التفرقة التي بثها الاحتلال والإرساليات التنصيرية، ومهما يكن من أمر هذا الأحداث التي مر بها جنوب السودان فإنها تدل على عمق الهوة التي خلقها الاحتلال البريطاني بين أبناء الوطن السوداني، فقد تطورت المشاكل والأحداث وظل المجتمع المدني في الشمال والجنوب غير متكافئ، وظلت الحرب دائرة في الجنوب منذ عام ١٩٥٥م، وقد استنزفت موارد السودان المادية والبشرية، وتشير الإحصائيات عن أن أكثر من مليون شخص من المدنيين قتلوا في الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب وحوالي خمسة ملايين أصبحوا بلا مأوى.

وهكذا فإن مشكلة جنوب السودان لم تكن مسألة ثقة مفقودة فحسب، وإنما كانت عقدة نفسية زرعها الاحتلال البريطاني والإرساليات التنصيرية كانت تحتاج إلى حرص شديد في معالجتها وتؤدة وروية في استئصالها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

١. الأب ج. فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك القديمة والسودان الحديث، الخرطوم، ١٩٧٨م.
٢. إبراهيم أحمد العدوي: يقظة السودان، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٧٩م.
٣. إمام محمد كلوك: المؤتمر الدستوري في السودان (المعوقات والإمكانيات)، رسالة دبلوم في العلوم السياسية، معهد الدراسات العربية، ١٩٨١م.
٤. التقرير السنوي عن مصلحة المستشفيات الملكية: ١٩١٤م.
٥. التقرير السنوي: مديرية بحر الغزال ومديرية أعالي النيل.
٦. توفيق محمد خليفة: الحياة في السودان بين الغابة والحضر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.
٧. جلال يحي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٤م.
٨. جيمس روبرتسون: السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال، تعريب: مصطفى الخانجي، دار الجبل–بيروت، ١٩٩٦م.
٩. حسن مكي: السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان، الخرطوم، المركز الإسلامي الأفريقي، د.ت.
١٠. حلمي شعراوي: الأفريقيون والعرب وجهاً لوجه، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، د.ت.
١١. رئاسة مجلس الوزراء: وثائق تاريخ السودان، وثيقة ١٠٩، مجموعة ٢٠١ اقتصاد.
١٢. رئاسة مجلس الوزراء: وثيقة ٢٥ مجموعة ١٥٤ إدارية.
١٣. سيد حريز: البعد الأثيني والثقافي للصراع السياسي في السودان، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ٢٠٠٥م.
١٤. الصادق المهدي: مسألة جنوب السودان، الخرطوم، شركة الطبع والنشر، ١٩٨٤م.

١٥.صلاح الدين علي شامي: المواصلات والتطور الاقتصادي في السودان، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٩م.
١٦.عبد الله السريع: سنوات في جنوب السودان، مؤسسة المطبوعات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٧.علي حسن عبد الله: الحكم والإدارة في السودان، القاهرة، دار المستقبل العربي.
١٨.محافظ أبحاث السودان: محفظة ٤٥، دفتر ١١١ قوات الأمن.
١٩.محمد عمر بشير: جنوب السودان، دراسة لأسباب النزاع، ترجمة: أسعد حليم، القاهرة، الهيئة العامة للطباعة والنشر، ١٩٧١م، الملحق الخاص بالمذكرة.
٢٠.الوثائق الإفريقية: محفظة ١٠٣، ملف ٦ السودان، أذونات.
٢١.يونان لبيب رزق: السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩-١٩٢٤م، القاهرة، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
٢٢.يونان لبيب رزق: مشكلة جنوب السودان (الأصول التاريخية لمشكلة جنوب السودان) بحث ضمن كتاب (مشكلة جنوب السودان)، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨١م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Annual Report on Medical Health work, 1935.
2. Beshir M.O.: Educational Development in the Sudan 1898-1956 Oxford 1969.
3. Beshir, M.o: The Southern Sudan background to Conlict, London, 1968.
4. Burton Jhon W: Christian Colinists and conversion, A view from the Nilatic Sudan (Journal of Modern African Studies) 23/2/1975, Vol. 1.
5. Collins Roberta: The British in the Sudan 1898-1956, London, 1960.
6. Collins, R.O: The Sothern Sudan 1893-1898, Boxton, M.F. The African Slave Trade and It's remedy, London, 1965.
7. Dempsey, J.: Mission on the Nile, New York, 1956.
8. Ewitt, G.: The Problem of Success, Op.Cit.
9. Giffen, C.R: The Planting of Christianity in Africa, London, 1952.

10. Hewitt: The Problems of Success, A History of the Church Missionary Society 1910-1942 in Tropical Africa The East, At home, London, 1971.
11. Ibid.
12. Macdonald, Christian Education in Southern Sudan, CMO, Jun 1940.
13. Magid Ali. Sanson: The Nationalist Movement in the Sudan the Enesunce of the Requized Political Move the Southern Sudan, 1972.
14. Majok, Damazu. Dutt: British Religion and Educational Policy, the case of Bahr El-Ghazal, London, 1945.
15. Oswin, k., The Early Study of the Vilotic Languages of the Sudan, SWR, Vol. 11, 1970.
16. R. Cook: Medical Mission, CMO, Vol. 1X IV, 1918.
17. Rafia Hassan Ahmed: Regionalism, Ethnic and Socio- Cultural Pluralism, the case of the Southern Sudan, University of Khartoum, 1984.
18. Watson, S.R: The serrow and hope of the Egyptian Sudan, London, 1905.
19. Wingate, Ronald (Sir): wigate of the Sudan, London, 1955.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١. إبراهيم عكاشة علي: حركة التبشير الديني في جنوب السودان ١٨٩٩-١٩٤٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
٢. محمود حسن أحمد: الحكم والإدارة في جنوب السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣م.

رابعاً: الدوريات:

١. جمال عبد الجواد: أزمة التكامل القومي في السودان، حالة الجنوب الفكر الاستراتيجي العربي، القاهرة، معهد الاتحاد العربي، العدد ٢٩ في يوليو ١٩٨٩م.
٢. نديم البيطار: الهوية والقومية والوحدة العربية، مجلة الوحدة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، العدد ٥ في فبراير ١٩٨٥م.